كلمة رئيس التحرير

رمضان يلدرم

بعد مرور ثلاثة أعوام على الربيع العربي ما زالت دوله تتأرجح ما بين المدّ والجزر وسط شطآنه الهادرة بَيد أن تونس التي انطلقت منها الثورة وصدّرتها بقيت بمنأى عن إخفاقات هذا الربيع، على الرغم من التعثرات والمنعطفات التي لاحقتها، وأبطأت من مسيرة الديمقراطية الناشئة بعد ثورة الياسمين.

في عددنا الجديد نحاول الإطلالة من شرفات المشهد التونسي؛ لنقف على تطورات المشهدين السياسي والمجتمعي داخله في محاولة جادة منا لسبر أغوار هذا المشهد المرتبك الذي خطا خطوة مهمّة نحو تصحيح المسار، والعدول عن إخفاقات حقيقية حدثت لتجارب الإسلاميين في السلطة عقب الربيع العربي. وانطلاقًا من ذلك قدّمنا طائفة من المقالات والدراسات الجادة لعدد من الباحثين المهتمين بالشأن التونسي. وحملت قضية العدد اسم "تونس الثورة في عامها الثالث".

بداية لم يستطع قلمي ألَّا يحرك ساكنًا، فآثَر المشاركةَ في الكتابة عن تونس الثورة، وهي تخطو أولى خطواتها نحو الاستقرار بعد إقرار الدستور في مشهد كان ينتظره الكثيرون ممن يريد لتلك الثورة أن تجني ثمارها بعد مخاض عسير، لصيرورتها وكينونتها الجديدة بعد عقود من العزلة والاغتراب، عايشها أبناؤها جراء أنظمة قمعية سلطوية. وفي خضم سجال مصطنع أسهم فيه كثيرون ممن أبَوا تنسّم عبير زهور الياسمين الجديدة هناك.

وتبقى تونس الآن في مهمّة صعبة على المستويين الداخلي والخارجي، بعد أن أصبحت الحاضنة لثورات الربيع العربي، والمرجعية الكبرى لها في منطقة الشرق الأوسط، مما يثقل الأمر على كاهلها، ويجعل العبء كبيرًا عليها، فيدفعها نحو ضرورة الإسراع نحو التوافق السياسي والمجتمعي بعد هذه المحطّة الفاصلة من محطاتها السياسة -"كتابة الدستور"- من أجل وضع لبنات هذا التشكل التونسي الجديد على كلّ الأصعدة، والسعي قدمًا نحو معالجة الأزمة الاقتصادية للارتقاء بهذا الشعب... الذي أبى الضيم ونشد الحرية.

كان من الطبيعي ألّا يكون هذا الانتقال الناجز صوب الديمقراطية وليد اللحظة، بل سبقته محطات مهمّة وفاصلة أيضًا، يجدر الوقوف عليها وعرضها ثم تحليلها؛ لتقييم هذه التجربة الديمقراطية الخالية من الزيف، في ظل تصاعد أصوات أدعيائها الباحثين عن أحلامها الزائفة مكان الحقيقية منها، محاولة تلمّس الطريق نحو تثبيت دعائمها وترسيخ قواعدها على الأرض، وهو الجهد الذي قام به الباحث "بشير الجويني" في مقالته التي حاول خلالها الإجابة عن عدّة أسئلة، منها "ما أبرز الهزّات التي شهدتها الثورة التونسية؟"، و"... محطات الانتقال الديمقراطي؟" و"ماذا بعد صياغة دستور الجمهورية الثانية؟".

وعلى الضفة الأخرى يسعى عادل الثبتي نحو التركيز على مساعى الثورة في تحقيق أهدافها وضرورة ان يعى الثوار ذلك للعبور لبر الأمان .

وإلى مزيد من التأمّل، ثم التعمق الذي يعقبه التدبّر في المشهدين التونسي ونظيره المصري

حـاول الباحث أن يقف عـلى أهم الفوارق بين النموذجـين وما أفضيا إليه في المشـاهد النهائية التـي أضحيـا عليه. مما دفع تونس إلى أن تسـير في مشـهد مغاير لما سارت عليه مصر من خلال عـرض تميّـز بالرؤيـة الثاقبـة والمقارنـة الدقيقة والتوصّـل إلى نتائج جادة ومهمّة تسـتدعي منا التنبـه لهـا، وبخاصة فيـما أحدثه زلـزال الربيع العـربي. بينما أبحر بنـا الأكاديمي التونسي فرج بالحـاج في لجـج السـجال الذي أعقـب الثورة التونسـية –شأنها في ذلك شأن بقية دول الربيع العـربي– بـين القـوى العلمانيـة ونظرائهـا مـن القوى الإسـلامية، من خـلال رصد وسرد ثم تحليل أهـم تلك المحطات وأبرز ما فيها، برؤية أكاديمية حياديّة وموضوعيّة.

تظـل السـلفية أحـد أهـم الأرقـام الصعبة في المشـهدين السـياسي والمجتمعـي في العالمين العربي والإسـلامي، لما نحياه من بعث سـلفي متنـوّع ومتعـدّد الصـور والأشـكال، وكانـت إحدى المحطـات الصعبة التي شـهدتها تونس عقـب ثورتهـا التـي أطاحـت بـ"بـن عـلي" –ممارسـاتِ السـلفية هنـاك وانعكاسـاتها على المشـهد السـياسي، وعمـق تأثيرهـا في البنيـة المجتمعية التي لفظت ممارسـاتها غير المدروسة فضلًا عن انفصامها وانفصالها عن واقع التدين وأنماطه التي عرفت الزيتونة وفقهَ الإمام مالك وأدبيات الصوفيـة وزواياها المترامية الأطراف هناك.

هنـا يقـدم الباحث في الشـأن السـلفي عبد الباسـط الناشـئ دراسـته التي نجح خلالها في تقديـم عرض بانورامي وتحليلي لماهية السـلفية وتنويعاتهـا وتعريفاتهـا في الداخـل التونسـي، والوقـوف بشـكل جاد عـلى ظاهرة "السـلفية الجهاديـة"... التـي أضحـت حديـث الصباح والمساء خارج تونس قبل داخلها.

هواجـس المواطـن التونسي تجاه الدسـتور قبيل إتمامه كانت كثيرة ومتشـابكة مع معطياته عـلى أرض الواقـع ومتطلباته الذاتيّـة والحياتيّة في آن معًا، ولاسـيّما المـرأة التي كانـت لقوانين "بورقيبـة" ومن بعده "بن علي" عظيمُ الأثر في الجَـور عـلى حقوقهـا التـي كفلتها لهـا الشريعة الإسـلامية بعـد علمانية فاشـية حاولت خلالها تلك الأنظمة المسـاواة من المنظور الغربي الذي يتعامل مع المرأة كأداة اسـتهلاكية فقط. من هنا كانت اجتهادات سامية فاطوم التي بحثت عن هـذه الهواجـس والإشـكاليات التـي واجهت صناعة الدستور ولازمته.

تُعَدّ جدليّة الدِّين والأيديولوجيا، وموضع الدِّين من التربة التونسية ذات البذور الزيتونية من الكتابات الشائقة والمضامين التي تحتاج إلى كثـير من السرد، ولاسـيّما بعد عقـود تلوَ عقود مـن الممارسـات القمعيـة الجائـرة ضـد الدِّيـن والتديّـن في تونـس. هنا يرتحل بنـا علي الصّولي في فضاءات المشهد التونسي في الماضي بجذوره الضاربـة في القِـدم وعقـب ثـورة الياسـمين، ثم رصـد مسـتقبلهما في المشـهد ذاتـه. ويطرح الصولي أمرًا مهمًّا يجد المجتمع التونسي في أشـد الحاجـة إليه، إنّه محاولة إيجاد "مشروع اجتماعي للثورة العربية".

وهنـا يلتقـط الخيـط منـه عـالم الاجتـماع التونـسي "نور الديـن علوي" ليجيبـه عن هذه الفكـرة، ويتناولَهـا بالشرح والتأويل في مشـهد جـريء وجذاب يعكـس مدى تطـور المفاهيم والأطروحـات الثقافيـة والمعارفيـة في تونـس الثورة.

ومـن تونـس الثـورة إلى تركيـا الطمـوح وإشكالية انعكاسات الربيع العربي على علاقاتها بالاتحـاد الأوروبي، والرغبـة في الانضـمام إليـه

الـذي يقدمّه بعرض مفصـل كلٌّ من "جاكوب ودكا" و"سارة كوسـميس" من خلال الوقوف على "رسـم خرائط المصالح الإسـتراتيجية" فيما أسـماه بـ"الجـوار المضطـرب" من خـلال إبراز أهميـة تركيـا للاتحـاد الأوروبي، ومـا يمكن أن تحدثـه العاصمة التركية "أنقـرة" من دفعة تجعل هذا الاتحاد ذا مكانة عالمية وقوة حقيقية.

المسـألة القبرصية من القضايا الأكثر تعقيدًا على طاولة الساسـة الأتراك والمسـؤولين هناك لذلك فهـي دائماً تسـتدعي في ملفاتها الداخلية شـيئًا من التناول الدقيق نظـرًا لواقعها المرتبك والشـائك في آن معًا. دعونا نتعرّف ذلك بقرب من خلال عرض بانورامي ورؤية تحليلية مهمّة لمايكل إميرسون.

اسـتوقفني كثيرًا عنـوان مقالة علي أركان لمـا تحملـه مـن دلالات عميقـة في إسـقاطاته المسـتوحاة مـن تـراث العثمانيـين عـلى واقـع السياسـة التركيـة، وذلك في المـاضي القريب والحـاضر المعـاش. ولا سـيّما أنـه موضـوع مركـزيّ في السياسـة التركيـة منـذ العقـد السـادس من القرن المنصرم. فضلًا عن رحى التغريب والتتريك اللذين لازما البلاد عقودًا طويلة، وآذن بانتفاء ما سواهما، بالتوازي مع النظـرة القـاصرة للتاريـخ العثـماني. وموقف الحـركات والتيـارات بإزائهـا التـي تشـعبت خـلال هذه الفـترة بين علمانيـة ذات نفوذ من جهة، وإسـلامية تسير على اسـتحياء من جهة أخـرى؛ كلّ منهـما كانـت لـه وجهتـه المغايرة عـنهـذاالـتراث.

وختامًا أدعوكـم إلى مطالعة متأنية لمقالات هـذا العدد النافع وبحوثـه الدقيقة التي آمل أن يكـون لها أثر جليّ في تكوين صورة سـليمة عن كثير من الأحداث الحسّاسـة والاستثنائية التي تمرّ بها منطقتنا وما يحيط بها.